

رَأَتْ الْعَدُوَّ الْمَاضِيَّ مِنَ الْآدَابِ



بقلم

الظهور غطاس كرم

حتى كأن الأناة والجهد المتراكم شرطٌ من شروط البقاء الثابت . ألا رأيتُ معي أناة الطبيعة في صنع الآثار والاصداف وماهي عليه من كمال الشكل واللون والحجم وما بذلت الطبيعة من دهور لتستوي الاصداف في جمال المعجزات . بينا يتهافت ادباً وناعلى بلوغ النهاية في العمل الفني . قبل ان تم الخطوات الضرورية التي تقودهم الى نهاية النهايات . كأنما الزمان يزن الطاقة التي بُذلت في سبيل العطاء الفني ، وكأنما يطول الخلود بنسبة الجسد والألم المحتملين .

ألا يرى صديقي معي ان « التكنيك » الفنية نفسها ، لن تستوي ما لم يحصل تجاوب بين الاديب والمجتمع ، بحيث يستحيل المجتمع فؤارة معطاء في قدس اقداس العبقري ، وفي تجارة الفكر تتسع سعة الاخذ والعطاء ، وتتجدد امكانيات اهل الفن ، وتفتح امامهم آفاق المعاني حتى اللانهاية . لقد تغنينا بالينابيع والظلال والربيع والحريف ، واستنفدت من صدورنا المعاني ، ولم تتوفر لنا ثقافة انسانية عميقة خصبة ، توجه ادبنا ، وتجدد فيهم طاقة العطاء . نحن نشأنا على نعمة الازجال الساذجة ، وفي ارجوحة الفصول ، ونشأ الاوروبيون على فن الاغريق وفلسفتهم ، على اوتار بيتهوفن وفاغنر ومتاحف النهضة ، ومسرحيات شكسبير يتتقون على غير إجهاد وحصر .

لقد دخلنا مرحلة الملل من موضوعاتنا المتكررة على غير طائل تُزخر باللفظ ونهمل الجوهر الانساني الذي يجسّل اللفظ وبيعث فيه حرارة الحياة والبقاء . اين هي الغزارة التي تفرغ ذواتنا على الكون بما فيه ؟ اين هي هذه الحركة الدائرية الدائمة التي تضع لنا مقاييس في الفن جديدة ، وكلما اعطينا حملتنا على الوثب الى مستوى جديد أرفع وتضخمت في نفوسنا حاجة العطاء الفني ؟

اين هي المجالات الانسانية؟ وما هي الابعاد الموسيقية المتنوعة التي تُحدثها قيثاره ذات وتر واحد ؟

★

وفي مقال « الشعر العامي اللبناني » عودة الاستاذ مارون عبود الى استكمال ما نشره في عدد ايلول ، وما سيتبعه في العدد المقبل .

ليكن ما تشاء ، يا صديقي الدكتور ادريس ، لقد أسأت الاختيار ، وعليك وحدك تُلقى التبعات . وما دريت الحكمة من هذا الباب تورده على التوالي . إن كنت تبغيني قارئاً ، فأني - وحقك - مستعرضٌ معظم ما تنطوي عليه « الآداب » منذ ظهورها ، بعد ان جف اليراع السوي و انقطع التحبير النبيل عن المجلة الادبية ، وانتابت الفن عدوى الصحافة السريعة .

أو كنت تريدني ناقداً فالأفلام التي وكلت أمرها إلي قد انسرت فيها الكلمة المكوكة . أما الفكر في المقال فشأنه لمسُ الحاطرة على غير استقصاء ، وإثارة المسائل على غير استفاد . أو كنت تبغيني ان يستمر بي عددك الماضي في عددك الآتي وان تلمس صقال المذاق في فم قرائك . بعدما قربته ، على طبق « الآداب » ، من فنون الأطعمة ، فانك ظالمي : وانا بطيء القراءة المفصلة حملتني على التسرع حيث ينبغي الاستبحار .

★

وأستعرض الفهرست ، فاذا بي امام جمهرة فوضوية من الابحاث ، والقصص ، والانشاد الوجداني ، وانباء تعرض وتحمل وتناقش ، وتداول ، وتعقب وتزجج في اللجة العرمة مسرحية بيرواندلو . أما كان أرف بالقارئ ان تنقسم « الآداب » على غرار المجلات الادبية الاوروبية ، يتهافت فيها القارئ على الفن الذي يستهويه من فنون طعامك ؟

وأقف هنيهة عند المقال الاول « نسينا عدواً للأدب » يحاول فيه الاستاذ رثيف حوري ان يكشف عن مبدأ السببية في انهمار انتاجنا الادبي . وتنبسط شبكة العمل بسردها سرد الامر المنتهي . ليحصر الكلام في واحدة : ذلك ان ادبنا آثروا السهولة في العمل الادبي القصير السريع ، واقتصروا عليه ، حتى كادت اعمالهم « ترتجّل ارتجالاً » - فلا أناة ، ولا محاسبة ، ولا قلق في سبيل انتاج فني أفضل : انهم لم يعنوا « بالتكنيك » الفني .

ألا رأى صديقي معي ان الأدب ازياء ، واننا في مطلب اللذة السريعة ، والغنى السريع ، وانهم أرادوا الفن سريعاً لبلوغ الشهرة السريعة على حبل الحياة المقتضب ، فملأوا الصحف بما يصنعون في ساعة من الدهر ، وكان القدماء ينفقون الدهر في انتاج ساعة ؟

ولئن طاب لي ان أتمادي في الكلام على أديب كإرون عبود جعل للمحة عمقاً ، وازدان بالظرف المطبوع اسلوبه ، وبالطرفة الحلوة ، وإنما يستلزمني الوقوف على موضوعه جهداً يعجزني ، ذلك ان مدار الكلام : العلاقة بين الزجل اللبناني والغناء السرياني الديني . وهذا يدخل في احداث المذاهب النقدية في الأدب المقارن . ويرتكز العلامة على « ميامر مار أفرام ومار يعقوب » التي كانت تنشأ في الكنائس . ويذهب الى ان هذه « السواغيت » هي ينبوع الشعر العامي حقاً . ويعود الى الشاعر رشيد نخله فيجعله « مسترالياً لبناني ، وكنت أود لو أنه أتبع لناقدنا البصير ان يحاول كشف العلاقة القائمة بين هذين الشعارين ، ليتضح ما أبهم ، وتتضبط بذلك معرفة المتدرج مثلي . وفي مقال رزين يرسم الدكتور اسحق الحسيني لوحة سريعة الخطوط تطل بوجه المرحوم «خليل السكاكيني» . ويرسم الفقيه من اصحاب المذهب العقلي الانساني، استنتاجي الدورة الذهنية، مرهف الحس ، مثقف ، ميالاً الى الظرف ، حراً ، أنوفاً ، تساوى فيه الجوهر والمظهر - يونانياً سقراطياً .

وحلا للعلامة ان يتناول جانب الانسان الذي كانت تتفرع ذاته في ذوات البشر من عارفيه ، فلم يُعْنِ بسائر الزوايا ، إذ شغل بالرجل عن إنتاجه ، وبلا انسان عن الاديب المفكر الناثر الشاعر على جديشان الحاطرة (موت امرأته) ، حتى اذا انت طلبت «السكاكيني» الأديب لم تلق منه في المقال الطريف الذي وُزنت الفاظه بموازين الحجارة الكريمة - غير تقويم علمي لمؤلفاته . إن لهذا الفصل بين الأديب وإنتاجه ما له من أخطار .

ولقد ألقى صاحب المقال على شخصية «السكاكيني» شعاعاً ريقاً ، - ولا بدع - فهو من صحبه . وقد يتوفر للمعاصرين ان يصوروا شخصية الأديب الذين عايشوهم بما لا يتوفر للخلف وكأنها سنة في الأرض فكلمنا اتسع فاصل الزمان بيننا وبين الادباء أتبع لنا ان نفهم آدابهم فهماً أعمق .

أضف ان شخصية الأديب إطلاقاً ، أغنى واغزر من الجنبات التي تتراءى منهم فيما ينتجون ، ولكن الزمان لا يبقى عليهم من اجل ذلك . وإنما الذي يعني العصور الآتية هي الرائعة الفنية ، من حيث هي . ألم يكن من الأبين في تعريف «السكاكيني» أن تجلي شخصيته في أدبه ، بأكثر من انجلائها في حكاية المعلم الكبير يحنسي الحجر في «الكتّاب» ، وفي روايته يوم «بصق علي الدنيا مرة من طائرة زراية بالنفوس الصغيرة» ؟

غير أنه يذكر « أن أدبه الذي صور نفسه الانسانية النبيلة

عاش معه ، ومات معه . »

هذا وصاحب المقال بمن ادر كتبهم دراية اللفظ المحكم في المقال العلمي ، يضعه في مواضعه اثقلاً معنوية ومدلولات ضيقة ، نظيماً على القدر المقصود . غير انك تقع هنا ثم على فواصل ضائعة الدلالة ومميزات يشارك فيها السكاكيني معظم مخالقي الله . كمثل قوله « وكان في شبابه من فرسان حلبة الرقص » بعد أن كان ألمع الى براعته في الموسيقى والعزف على الكمان .

والاستاذ العلامة بمن يعتمدون « الشرطية التكهنية » في النقد ، وذلك ما يخرج عن طبيعة النقد الموضوعي العلمي . إذ يصبح الحكم النقدي مرتكزاً على افتراضية كثيراً ما لا تلاقي واقعها . كمثل ما نصّه : « ولو لم يتنكر له الزمن مراراً ويرده على اعقابه في كثير من الاتجاهات الجزئية لكانت نهايته من طراز الكتاب الغربيين امثال برتراند رسل ، وجوليان هكسلي ، وهج ولز . الخ . . (ص ٦) »

وفي موضع آخر : « لو ظهر السكاكيني في أمة تعرف للمفكر مقامه ، وفي ظروف تكتمل فيها المواهب ، وفي احوال تكون فيها تكاليف الحياة هيئمة يسيرة لرأينا فيه كاتباً من طراز الكتاب الغربيين المبرزين (ص: ٨) » فترى أنه استوثق المبدأ «الشرطي» فكرره . ناهيك أن العبقرية وان كانت بنت المعادلة الاجتماعية ، فهي تبقى شذوذاً فردياً في هذا التفاعل الاجتماعي . والسببية المحتومة لا تنطبق انطباق الناموس العلمي على ابناء عبقر قاطبة . فالمسببات الواحدة لا تلتقي في أهل الفن نتائج واحدة ، وإلا لتساوى أهل العصر الواحد ، والبيئة الواحدة في المذاهب الفنية اطلاقاً ، وقضي على التنوع .

وبقلم الدكتور شكري فيصل مقال في « واقع الاذاعة العربية » كتبه على اثر انعقاد المؤتمر الاذاعي في القاهرة . وفيه من العمق والطرافة ما أخرج الكاتب عن حدود العرض الاذاعي الآلي ، فجعله مظهرراً من مظاهر المشكلة العربية . وهو يرى باحساس الخاصة المثقفة ان ليست العلة في عجزنا عن تسخير الامواج والاطوال ، وإنما العلة في « كيفية » استخدامنا لهذه الآلة التي سخرت لخير الانسان ؛ العلة « داخلية » قوامها هذه المعادلة العقلية الانسانية التي بها سنطل على الشعوب الناعمة بالمساواة ، المستظلة بالعدالة ، العائشة في كنف المعرفة ، على نحو ما يقول . فماذا نترانا نقول لهذه الامم والشعوب ؟

لقد جعلت الاذاعات العربية من هذه الأداة « صندوق اغان او « قصة غرام » وكان أحرى ان تجهز جوهر هذه

الأداة بما يرفع مستوى الشعب، وبما تفتح امامه الحياة الفكرية والفنية في المطلق. أليست هذه الأداة - واهم الحق - اشد الأدوات فعالية، تنبث في الشعب على مختلف طبقاته ثقافته وإرادته او غير إرادية، وترفع، من حيث لا يدري، وباستمرار، من حيث لا ملل، مقاييسه. وتثقل فيه الذوق وتعزز المعدن العقلي؟ اما جعلناها مفسدة للذوق، وسجناً إجبارياً يشوه فيه الفكر، وطريقة صينية في تعذيب النفوس والاسماع؟

إلا أن الدكتور فيصل يقف عند هذا الحد التقدي الهدام، يشعر، على نحو ما يسود الشعور، بموضع العلة، ولا يتأدى في الكلام البنائي المفصل على العلاج التعميري الموجه.

ويستميلني مقال عبدالله عبد الدائم في «نفسيات نموذجية» وقد اعتمد قصة «نيتوتشكا» لدوستويفسكي محلل جنباتها في منحى نفسي استقصائي. وهذا الاتجاه النفسي في دراسة الآثار الأدبية يعتبر، الى جانب البحث الجمالي الصرف في الاخراج، أحدث الأساليب النقدية المعاصرة، ما دام الفن فيضاً من الأعماق الانسانية في هنيئاتها الخلاقة. وفي هذا المسلك النقدي توجيه للقارئ، وفيه دعوة الملمهين في الفن الروائي الى الانطواء على ذواتهم، وتأملها، وتأمل أبطالهم، ليخرج أبطالهم من الحيز النسبي الى الملأ الانساني الذي لا يحده زمان أو مكان. بحيث باتت رواية الكاتب الروسي مصدراً لدراسات علم النفس، وينبوعاً نموذجياً للعلامة «فرويد» و«آدلر».

هذا هو العمق الذي غاصت عليه الآداب الأوروبية ولم نصب منه في ارضنا إلا تتفا هاربة إذ شغلنا مجلاوة الاخراج، ناعم الايقاع، او جزله، عن هذا الاستنفاد في تشريح الذات الانسانية. وبذا كانت آدابنا الحديثة - في معظمها - عبيراً عارضاً يتلاشى في الفراغ بعد حين. إننا لم نفهم الانسان. وعندني ان المقال في باب من ذوات الوزن.

ويعالج يوسف الشاروني فكرة الشهر حول «الفن والصراع» ينشئ فيها ان الفن بدءاً كان تعبيراً عن حياة اجتماعية، ثم نما الفردية، فأضحى ذاتياً. على انه - رغم صفته الذاتية - احتفظ بصبغة اجتماعية لا يسعه عنها انفصال.

ثم ينتقل الى العريضة الجنسية واثرها في الفنان، والى الحرمان المعتدل باعتباره ينبوعاً من ينابيع الألم، والألم مصدر للعبقرية. ويتراءى لكاتب المقال ان الرجل السوي الذي توازن بين فرديته ومجتمعه لا يجد دافعاً الى القيام بعمل فني!

وقد نسلم بمبدأ الحرمان «المعتدل» باعتباره يلاقي الواقع الابداعي خلال العصور جمعاء. اما زعمه ان الرجل السوي الذي لقي التوازن بين فرديته ومجتمعه لا يجد دافعاً الى القيام بعمل فني، فمبدأ اعتباطي يتوزع من تاريخ العبقرية البشيرية ميارداً كأرسطو، وعملاقاً آخر «كغوته».

ولصالح جواد الطعمه مقال بعنوان «شعرنا المعاصر يواكب النهضة الحديثة» يشتمل على ثلاث نقاط: ١ - موقفه من الدكتور محمد مندور ونظرية الفن للفن، وهو يستنكرها. ٢ - اثباته ان شعر النهضة واكب الحركات التحررية. ٣ - ان الشعر المعاصر قد تحرر من اوزانه التقليدية وخطا «خطوات طيبة» في هذا الاتجاه (شعراء المهجر).

اما موقفه من نظرية الفن للفن فيستأزم من المناقشة ما لا يتسع له هذا المقال، لكونه يثير تحديد «الغاية» التي من اجلها وضع الفن.

واما اثباته ان شعر النهضة قد واكب الحركات التحررية، فالرد عليه ان تطورية التاريخ قد قذفت بالعالم العربي من انفصاليته الى قلب الازمة، الى دائرة التاريخ الانساني. فإلى أي حد كان أدبنا صدى لهذا الانتقال الى الازمة الانسانية الكبرى؟ واين هي المشكلة الكبرى التي ساهم في اثارها، وتركيزها وحلها؟ بقيت في النثر قصة «العود المسحور» لوداد السكاكيني. وهي من النوع الإيحائي في القصص القصير تقوم على توليد جوّ يبدل في الحالة التي تكتنف القارئ، وينتشله من وضع نفسي الى وضع. وتتناقذ إثارة هذا الجو لقلم حلو الرنين غرزت فيه اللقايا الشعرية، وتمايلت فيه طواعية الكلمة على هواه. بحيث إن الجو المقصود لا يندفع اندفاعاً، بل ينساب سرياً، قريباً، لا عنف فيه، ولا قسر، ولكن «الصميم القصصي» يفت في غمرة هذا الجوّ ويلبثي بعضها: كأن تستنجر الكاتبة في وصف الشجرة، وصورة الشيخ يوسف استبحاراً يستغرق نصف القصة او يكاد، فيلامسك منه شيء من الملل او يكاد. وتتكور الفواصل احياناً على غير طائل، وتسرد الحوادث، هنا وثم، وقد تبطنت بالكلفة تشدّ شداً، واكتنفها القصور. واكثرها من نوافل القصة يثقل الجوّ، ولا يزيد في هيبة سحره.

و «اصوات الليل» - قصة جديدة بقلم جبرا ابراهيم جبرا من جامعة هارفرد، بالولايات المتحدة. ولعلها أعمق ما ينطوي عليه عدد تشرين الأول. وقد اعتمد الكاتب فيها حواراً على

النشاط الثقافي في الغرب

روسيا

تمثيلات غوركي على المسرح *

لم يغب اسم مكسيم غوركي، في يوم، عن لوحات الاعلانات في مسارح موسكو . ففي كل عام تشهد العاصمة عدداً من مسرحيات غوركي يعاد تمثيلها بلا انقطاع في مسارحها . ويكاد ذلك يعني دائماً لا « مجرد ليلة افتتاح اخرى » ولكن حدثاً كبيراً في حياة المسرح السوفياتي .

(*) راجع مجلة الادب السوفياتي ، العدد السابع ، سنة ١٩٥٣ . والمقال بقلم ل. خولودوف E. kholodov ، وقد اكتفينا هنا بترجمة القسم الاول منه ، وبدور فيه الكلام على مسرحية « بيغور بوليتشيف وآخرون » م . ب

وكانت أبرز المسرحيات التي مثلت لغوركي في الآونة الأخيرة ثلاثاً: بيغور بوليتشيف وآخرون Yegor Bulychev and Others في مسرح فاختانغوف Vakhtangov ودوستيغايف وآخرون Dostigayev and Others في مسرح ييرمولوفا Yermolova ، وفاسا زيليزنوف Vassa Zheleznova (النسخة الثانية) في مسرح مالي Maly .

وهذه المسرحيات الثلاث التي كتبت خلال العقد الرابع من هذا القرن والتي كانت آخر ما أخرجته غوركي في هذا اللون من الأدب إنما تتوَّج ، بحق ، نتاج هذا الكاتب العظيم في دنيا المسرح .

وحين نُشرت « بيغور بوليتشيف » أول ما نشرت كتب فلاديمير نيروفيتش دانتشينكو ، احد مؤسسي « مسرح موسكو

عبد الصبور ، ومنه القومي البطولي لسليمان العيسى . ومنه ما ينصبّ جاماً من اللعنات تفيضُ عن فورة الدم الثائر كقصيدة علي الحلبي أحد اعضاء رابطة الادب الجديد (يا فلسطين) ؛ وفيه الرومنتيكي بما يبطنها من سويداء ، وصور ، وذكر ، كما ترى ذلك في قصيدة « الربيع في القرية » لمحمد فوزي العنتيل أحد اعضاء « رابطة النهر الخالد » في القاهرة ، وفي قصيدة نمر عارف الزناتي « حفنة حقيقة » .

وفي هذا العدد أخبار في النشاط الثقافي عندنا ، وكلام على هذه « الهزمة » تتجاوز صورتها أذواق الادباء ، ولما كانت الهزمة حرفاً كاملاً صحيحاً صدق اعتبار الاستاذ رشاد دارغوث إن كانت الغاية « تسهيل الكتابة » . وأدود عنها بالردّ على الاستاذ عثمان : أيضاً كانت صورة الهزمة فعلينا - يا صديقي هيج - الاعتراف بواقع لا مفر منه : اننا ، اذ نقرأ العربية على خلاف قراءتنا للغات الاوروبية مثلاً ، نفهم اولاً ، ونقرأ ثانياً ، قراءة صحيحة .

★

نجي - رب - فاني تأب عما صنعت ، ولن اعود الى مثلها ثانية .

انطون عطاس كرم

الطريقة الاغريقية أتاح له التعرض لعدد من المشاكل الاجتماعية والفنية والسياسية - قل الحياتية الشاملة - وليس اطوع من اسلوب الحوار لاثارة هذه الألحان الانسانية على متفرعاتها وتوّعها . إلا أن هذا الحوار الجميل الذي أسبغ على القصة عمقاً ، واثقالاً فكرية واعتراضات فلسفية هوبذاته من رواسب القصة يبتز حواراتها ، ويجول مجرى اللذة من القصة الى الحوار من حيث هو . فالاستاذ جبرالم يكتب قصة في حوار ، بل اراد حواراً في إطار قصصي وهو بمن يجيدون طريقة اللف والدوران التي يتولد بها الفكر من الفكر ويداور في رياضة ذهنية خالصة .

★

اما الشعر في هذا العدد فيختلف الأغراض : منه الثوري على طريقة ابي العلاء ، وفيه رنة ابي القاسم الشابي ، كما يستشف من قصيدة سعد دعبس « من الحارة والى الحارة . » ، وفيه الرمزي الابداعي يعوزه شيء من الضوء يخفف من العتمة الشعرية وشيء من العناية في صياغة يبلغ معها صفاء الكلم كاسقاط بعض حروف التشبيه ، واستخدام « النعت » المبتدل الذي يُبح فيه الصوت ؛ كقصيدة « موت الفلاح » . ومنه المنشور ، خطابي اللهجة ، « توراتي » الايقاع ؛ (غادة يافا- لمحمد الماغوط) ؛ ومنه الحزين الكبير الهوائي الذي على مذهب « فرلين » وفيه نفور وجودي من واقع الحياة كما في قصيدة « الحزن » لصالح الدين